مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ١١: ٢٤ – ٢٦، ٣٢ – ٤٠)

يا إخوةُ بالإيمان موسى لمَّا كَبُرَ أبى أن يُدعى ابنًا لابنةِ فرعون* مُختارًا الشَّقاءَ معَ شعبِ اللهِ على التمتُّع الوقتي بالخطيئة* ومُعتبِرًا عارَ المسيح غنًى أعظمَ من كُنوز مِصر. لأنَّهُ نَظَرَ إلى الثواب* وماذا أقولُ أيضًا. إنَّهُ يَضيقُ بي الوقتُ إن أخبرتُ عن جدعونَ وباراقَ وشمشونَ ويفتاحَ وداودَ وصموئيلَ والأنبياءِ* الذينَ بالإيمان قَهَروا الممالكَ وعملوا البِرَّ ونالوا المواعِدَ وسَدُّوا أفواهَ الأسود* وأَطفأُوا حِدَّةَ النارِ ونَجَوْا من حَدِّ السيفِ وتقَوَّوْا من ضُعفٍ وصاروا أشدَّاءَ في الحربِ وكَسَروا معسكَراتِ الأجانب* وأخذت نساءٌ أمواتَهنَّ بالقيامةِ وعُذِّبَ آخرونَ بتوتير الأعضاءِ والضربِ ولم يقبلوا بالنجاةِ ليَحصلوا على قيامةٍ أفضل*

الرب يدعونا أن نراه

يحدثنا إنجيل اليوم عن دعوة الرب لفيليبس ولقائه الأول بنثنائيل. والرب يقول عن هذا الأخير: «هوذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه» لأنه عرف مكنونات قلبه واكتشف فيها استحقاقه ليكون من المختارين، من المدعوين. إلى ماذا يدعوه الرب؟

في العدد الماضي تحدّثنا عن أن الصوم هو دخول في مناخ العهد القديم وهو زمن انتظار الخلاص واستباق الملكوت. ويجيء هذا النص الإنجيلي ليكمل الصورة السابقة. في العهد القديم دعا الله شعبه للخروج من أرض العبودية إلى أرض الميعاد، وها هو اليوم يدعونا عبر نثنائيل، إلى مغامرة جديدة. فما هي هذه المغامرة وما علاقتها بزمن الصوم لنستذكرها اليوم؟

قلنا إن الصوم ليس لتعذيب النفس وإماتة الجسد. وها نحن في صلوات الأسبوع الثاني نقرأ ما يلي: «لما صُلبتَ أيها المسيح فتحتَ لنا الفردوس ثانياً، الذي إذ حظيتُ فيه على الحياة أطرب وأسرّ ناجياً من موت الخطيئة المؤبد. لذلك أعظّمك يا محبّ البشر» (الأودية التاسعة من سَحَر الجمعة). بالصوم ننجو من الموت المؤبّد ونحظى على الحياة في الفردوس. والحياة في الفردوس هي الانعتاق من عبودية الخطيئة والدخول في حريّة أبناء الله.

إذاً الصوم هو سبيل إلى الحرية. ولكن الصوم يعلّمنا أن الحرية التي طالما نتحدث عنها في حياتنا اليومية على أنها حق نطالب به كواحد من حقوق الإنسان، هي واجب علينا، نجاهد في سبيل بلوغه. الحرية واجب وليست حقاً. الحرّ هو من يسعى لتحرير نفسه من عبوديتها لشهواتها. الحرّ هو مَن يعرف أن قيمته تكون بما هو عليه لدى الله وليس بما يمتلك من متاع ومقتنيات. الحرّ هو مَن يعرف أن كرامته هي من حضور الله فيه وليست من منصب أو جاه. الحرّ هو من يشدّه الشوق إلى أورشليم العلوية أرض ميعادنا الجديدة وليس مَن يغرق حتى الثمالة في متاع الدنيا الفانية.

يظن الكثيرون أن الصوم هو قهر للنفس وتحطيم للجسد ولذلك لا يكون لصومهم ثمر لأن الله لا يشاء قهر النفس ولا تحطيم الجسد. فهو مَن نَفَخ

العدد ٨/ ٢٠١٠
الأحد ٢١ شباط
الأحد الأول من الصوم
(أحد الأرثوذكسية)
تذكار أبينا البار تيموثاوس الذي في سمبلة، والقديس أفستاثيوس أسقف أنطاكية العظمى
اللحن الرابع
إنجيل السَحَر الرابع

وآخـرون ذاقـوا الـهُـزْءَ والـجَـلْـدَ والـقـيـودَ أيضًـا والسِّجن* ورُجموا ونُشِروا وامـتُـحـنـوا ومـاتـوا بـحـدِّ السيف. وساحوا في جلودِ غـنـمٍ ومَعزٍ وهـم مُعوَزون مُضايَقون مجهودون* (ولم يكنِ العـالمُ مستَحقًا لهم). وكانوا تائهين في البراري والجبال والمغاور وكُهوف الأرض. فـهـؤلاء كـلُّـهـم مشهودًا لـهـم بـالإيمانِ لم يـنـالـوا الموعِد* لأنَّ اللـهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئًا أفضلَ أن لا يكمُلوا بدوننا.

الإنجيل

(يو ١: ٤٤–٥١)

في ذلك الزمان أراد يسوع الخروج إلى الجليل فـوجـد فـيـلِـبُّـسَ فـقـال لـهُ اتبعني* وكان فيلِبُّسُ من بـيتَ صـيـدا مـن مـديـنـة إندراوسَ وبطرس* فـوجد فيلِبُّسُ نَثَنَائيلَ فقال لهُ إنَّ الذي كَتَبَ عنه موسى في الـنـامـوس والأنـبـيـاءِ قـد وجـدنـاهُ وهـو يسـوعُ ابـنُ يوسف الذي من الناصرة* فـقـال لـهُ نَـثَـنَـائـيـلُ أمِـنَ الناصرةِ يمكنُ أن يكونَ شيءٌ صالح* فقال لهُ فيلِبُّسُ تعالَ وانظرْ* فرأى يسوعُ نَثَنائيلَ مقبلاً إليهِ فقال عنهُ هوذا إسرائيليٌّ حقًّا لا غِشَّ فيهِ* فقال لهُ

في جسد الإنسان من روحه حياة واتخذ لابنه من مريم جسداً. فكيف إذاً يستطيع الخالق أن يشاء تحطيم المخلوق؟ الله يريد عبر الصوم إماتة الشهوة الرديئة لتتحرر النفس ولينعتق الجسد. في الصوم تتعاون النفس مع الجسد في جهاد يقودهما معاً إلى الحرية والكرامة والمجد. من خلال الصوم يصبح الجسد هيكلاً صارخاً نحو الروح القدس: هلّم واسكن فينا وطهرنا من كل دنس...

ليس الصوم عنفاً نمارسه على أنفسنا. الصوم يحوّل قوة العنف الغوغائية التي فينا إلى حركة مندفعة باتجاه الأحشاء الإلهية الممتلئة رحمة وحناناً لجنس البشر. الصوم يفتح أذهاننا وقلوبنا لنفهم أن بريق العالم خدّاع لأنه غالباً ما يكون ممزوجاً بالفساد وأن بساطة القلب تنير الطريق المؤدية إلى الحرية، حرية أبناء الله.

الصوم شبيه بالفقر لأن الصائم متى تحرر مما يمتلكه ويتملك فيه، يصبح فقيراً، والفقير لا يشغل باله بإدارة ما له وبشؤون الدنيا وأمورها. الفقير يهتم بالأساسيات التي تحفظ له الحياة. والمؤمن متى صام، يركّز اهتمامه على الأمور الأساسية التي تحفظ له الحياة الأبدية.

بالصوم نستعيد جمال الصورة الأولى. لذلك، يفهم الصائم الجمال الإلهي ويراه في الخليقة وفي نفسه وفي كل إنسان من حوله. الصوم تدريب على قراءة الجمال المدفون تحت غبار اهتماماتنا التافهة. والذي نحسبه جمالاً يشدنا ويأسرنا، ما هو إلاّ جمال باهت يذبل مع الزمن لأنه كالهباء الذي تذريه الريح. أما الجمال الحقيقي فيلبس عبر الزمان حلة البهاء. الصائم يترك الجمال الخدّاع وراءه ويعبر مسيرة الصوم باحثاً عن الجمال الذي لا يعتريه مساء.

الصائم هو المجاهد في سبيل الحرية والباحث عن الجمال. والحرية والجمال مكتوبان في الأيقونة وجوهاً مستنيرة بالمجد الإلهي، متسربلة حلة من نور تحكي سيرة القداسة. ولأن القداسة هي شركة الإنسان في ألوهة الخالق، الذي بتنازله الذي لا يوصف شاركنا الطبيعة البشرية، ترفع الكنيسة في هذا الأحد الأول من الصوم الأيقونة وتكرّمها. ولأن الأيقونة تقول الجمال وتحكي حريّة الأطهار، فهي أيضاً تحمل إلى الله تضرّعنا والدعاء، فبشفاعتها يتقبل بخور توبتنا مع صومنا وصلاتنا فيرحم ضعفنا وبعظيم حنانه دعاءنا يستجيب.

صلاتنا أن نكرّم الأيقونة ليس برفعها في زياح سنوي ينتهي بانتهائه، بل أن نجاهد بكل عزم وشوق ليرتسم نور الله على وجوهنا. هذه نحملها مدى العمر أيقونات.

استشهاد القديس بوليكربوس

«ستة وثمانون سنة وأنا أخدم المسيح فلم يسئ إليّ بشيء، فلماذا أشتم إلهي ومخلصي؟» بهذه الكلمات أجاب القديس بوليكربوس أسقف إزمير (نعيّد له في ٢٣ شباط) الوالي الذي كان يحاول دفعه إلى إنكار المسيح وشتمه. لقد أظهر قديسنا محبة فائقة لله جعلته لا يرهب التعذيبات والموت بل يبدي شجاعة الشباب هو الذي كان شيخاً طاعناً في السن.

نَثَنائيلُ مِنْ أينَ تعرِفني. أجاب يسوعُ وقال لهُ قبل أن يدعُوَك فيلِبُّسُ وأنت تحتَ التينةِ رأيتُك* أجابَ نَثَنائيلُ وقال لهُ يا معلّمُ أنت ابنُ اللـه أنتَ مَلِكُ إسرائيل* أجاب يسوعُ وقال لهُ لأنّي قلتُ لك إنّي رأيتُكَ تحت التينة آمنتَ. إنَّك ستُعاين أعظمَ من هذا* وقال لهُ الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم مِنَ الآن ترونَ السماءَ مفتوحةً، وملائكةُ اللـه يصعدون وينزِلون على ابن البشر.

تأمل

إنّ بولس المغبوط، مربّي المسكونة ومعلّم الحكمة السماوية، إذ عاين ما كان يحتمله المسيحيون من عذابات قاسية وأحزانٍ ثقيلة، وعقاباتٍ فظيعة وميتاتٍ مخيفة، على رجاء الخيرات الآتية لملكوت السموات، قال لهم: «إنّ آلام الزمن الحاضر لا تُقاس بالمجد الذي يهيّئه الله لنا» (رو ٨: ١٨). ماذا تقولون لي، يكتب الرسول، عن جروحٍ وقتل وعقاباتٍ وجوعٍ وحرمانٍ وسجونٍ وسلاسل؟ كلّ هذه وأخرى كثيرة لا تستطيع أن تعادل تمجيدنا، مكافآتنا وأكاليلنا؛ فالتجارب تنتهي مع هذه الحياة، بينما غبطة السماء لا تنتهي؛ الأحزان الأرضية

تكتسب اعترافات إيمان الشهداء التي يقولها القديسون قبل استشهادهم أهمية قصوى إذ ان هذا الإعلان الإيماني هو ثمرة لقاءاتهم بالله ومعرفتهم له، التي آثروا الموت على التفريط بها، مما يجعل هذه الشهادات من دعائم إيامن الكنيسة.

بعد ان اقتيد القديس بوليكربوس إلى الوالي ورفض الإذعان له وتغيير إيمانه، أمَرَ الوالي أن يُحرق القديس فجُهّزت المحرقة ولما أراد الجلاد تسميره على الخشبة قال له: «دعني حراً، ان الذي منحني القوة لملاقاة النار يعطيني قوة لأبقى بلا حراك فوق المحرقة». هكذا لم يُسمَّر بل رُبط إلى خشبة ويداه خلف ظهره، كأنه حمل مجهّز للتقدمة مقبول من الله. عندئذ رفع عينيه إلى السماء وقال: «أيها السيد الإله الكلي القدرة، أبو ابنك المحبوب والمبارك يسوع المسيح، الذي بواسطته حصلنا على معرفتك، أنت إله الملائكة والقوات وكل الخليقة مع جماعة الأبرار الذين يحيون أمام وجهك، أباركك لأنك أهّلتني لهذا اليوم وهذه الساعة التي أكون فيها في عداد شهدائك ومساهماً معهم كأس المسيح لقيامة الجسد والروح في الحياة الأبدية بالروح القدس. اقبلني اليوم أمام وجهك كذبيحة مسمنة مقبولة كما هيأت وأظهرت لي مسبقاً والآن تمّمتَ (لأن القديس كان قد عاين رؤيا قبل ثلاثة أيام من اعتقاله رأى خلالها وسادته تحترق فقام وقال لرفاقه انه سيُحرق حياً)، أنت الإله الحقيقي والأمين. امدحك من أجل هذه النعمة ومن أجل كل شيء، وأباركك وأمجّدك بواسطة رئيس كهنتك الأبدي والسماوي يسوع المسيح ابنك الوحيد الذي لك معه ومع الروح القدس المجد من الآن وإلى دهر الدهور، آمين». عندما أنهى القديس صلاته أوقد الرجال النار فارتفعت عالية وحدثت المعجزة إذ ان النار ارتفعت بشكل قبّةٍ فوقه ولم تحرقه بل صار كالذهب الموضوع في البوتقة. اثر ذلك ضربه أحد الجلادين بحربة فخرج دم وأطفأ النار. ثم ألقي جسده في النار لمنع المؤمنين من أخذه، لكنهم لاحقاً استطاعوا إخراج عظامه التي فاقت قيمتها اللآلئ.

هذه الصلاة الصغيرة التي تلاها القديس بوليكربوس قبل استشهاده تحوي الكثير من التعاليم والمعاني العميقة. يتوجّه فيها بداية إلى الله الآب معترفاً بقدرته غير المحدودة وبألوهته دون أن يبالي بالتهديدات والتعذيبات التي هو مقبل عليها. ثم يعترف علناً ان المسيح هو ابن الله الذي بتجسده أرشدنا إلى معرفة الآب كما قال هو: «أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ بي. لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم ابي أيضاً، ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه» (يو١٤: ٦-٧).

يعتبر القديس ان موت الشهادة هو فخر وشرف له كونه يشارك المسيح الكأس التي شربها أي كأس الآلام التي ذكرها يسوع في حديثه مع ابني زبدى: «أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سوف أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا» (متى ٢٠: ٢٢). ثم يظهر جلياً إيمانه بقيامة الجسد والروح التي كان ينكرها كثيرون. رغم علمه اليقين بأنه سيُحرق كان يعلم ان الله الذي خلق الإنسان من التراب يستطيع أن يقيم الجسد في يوم القيامة العامة. لقد طبّق القديس بالفعل ما نقوله كل يوم:

موقّتة بينما الصالحات السماوية أبدية.

في مكانٍ آخر، يكتب الرسول نفسه: «لأنّ خفة ضيقتنا الوقتية تُنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبدياً، ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى بل التي لا تُرى لأنّ التي تُرى وقتية وأما التي لا تُرى فأبدية» (٢ كور ٤: ١٧–١٨).

إنّ المسيحي الذي يضعف أمام الضيقات لا يستطيع أن يتقوّى ويؤمن برجاء الخيرات الآتية فقط. ماذا يفعل الرسول بولس إذاً؟ يعرض التجارب كأسبابٍ للسرور والافتخار، ويشدّد في الوقت ذاته على أننا بتضحية الرب على الصليب ربحنا خيراتٍ كثيرة لا تُحصى من دون أن نتعب أو نعاني ونعرق. يقول إنّ الله أنصفنا بنعمته فقط ومن دون أيّ مقابل، وأرسل ابنه لكي يخلّصنا من الخطيئة؛ الذي فقط بالإيمان به وُهبنا مغفرة الخطايا، والسلام، والقداسة، وشركة الروح القدس، والخلاص، والمجد السماوي غير المدرك. إذاً «نفتخر على رجاء مشاركتنا في مجد الله» (رو ٥: ٢)، لكنّ افتخارنا لا ينحصر بهذا فقط، «نفتخر أيضاً في الضيقات» (رو ٥:٣).

القديس يوحنا الذهبي الفم

«لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»، إذ لم يتردد أو يتذمر من موت الشهادة بل تعامل معه كأنه تتميم للمشيئة الإلهية. ثم أظهر تواضعاً عظيماً. فهو لم يفتخر بشجاعته بل أعطى المجد والإكرام لله كما أوصانا الرب يسوع قائلاً: «فليضئ نوركم هكذا قدّام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجّدوا أباكم الذي في السموات» (مت ٥: ١٦).

أما القسم الأخير من اعتراف الشهيد بوليكربوس فهو يتعلق بالمسيح الذي هو ابن الله الوحيد الآتي من السماء ورئيس الكهنة العظيم الذي منه يتأتى فداء البشر وخلاصهم كما يقول بولس الرسول: «وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أي الذي ليس من هذه الخليقة، وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً (عب ٩: ١١–١٢).

يبقى الموضوع الإيماني الأعمق الذي هو سر الثالوث القدوس الذي يعترف به بوليكربوس من خلال تمجيده للآب والإبن والروح القدس معاً. فمَن يقرأ اعتراف إيمان الشهيد بوليكربوس بتمعن يجد انه يحتوي على معظم عناصر دستور إيمان الكنيسة الجامعة. هنا تجدر الإشارة إلى ان قديسنا استشهد عام ١٥٦ أي قبل صياغة دستور الإيمان التي تمّت في القرن الرابع في المجمعين المسكونيين الأول (عام ٣٢٥) والثاني (عام ٣٨١). هذا يؤكّد ان الإيمان كان معاشاً في حياة الكنيسة والقديسين، وان دستور الإيمان وُضع لحفظ هذا الإيمان من خطر البدع والهرطقات التي تؤدي إلى فقدان الخلاص والحياة الأبدية الناتجين عن معرفة الله: «هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو ١٧: ٣).

محاضرات

بمناسبة الصوم المبارك تدعو رعية كنيسة نياح السيدة في رأس بيروت لحضور سلسلة المحاضرات التالية التي ستُقام عند الساعة السابعة من مساء كل ثلاثاء من أسابيع الصوم المبارك في بيت الرعية، بعد صلاة النوم الكبرى:

+ الثلاثاء ٢ آذار ٢٠١٠

«هدف العمل الإجتماعي في الكنيسة ومؤسساتها» لقدس الإيكونوموس جورج ديماس.

+ الثلاثاء ٩ آذار ٢٠١٠

«معاني الصوم الروحية والغذائية» للدكتور فادي جورجي والآنسة سهى موسى.

+ الثلاثاء ١٦ آذار ٢٠١٠

«الرهبنة والعالم – مفاهيم الرهبنة وأبعادها الروحية والكنسية» للأخ غريغوريوس اسطفان.

+ الثلاثاء ٢٣ آذار ٢٠١٠

«النهضة في الكنيسة الانطاكية – كيف ظهرت وكيف تبدو اليوم؟» للمتقدم في الكهنة بولس وهبه.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb